شروط المفسر في مقدمة الكشاف للإمام الزمخشري

* الدكتور: حيدر محمد سليمان

مستخلص البحث :

تعتبر شروط المفسر من أهم ما شُغلت به قرائح أصحاب علوم القرآن من المفسرين ، ولعل من أهم أسباب وضع هذه الشروط هو حرص علماء الاسلام على القرآن الكريم.

وهذا من باب الحفظ الذي تعهد به رب العزة في حفظ كتابه ، وقد دون في هذا المجال أعداد كثيرة من العلماء ذكروا عددا من الشروط ، حيث لا يعتبر مؤهلاً للحديث في كتاب الله والتفسير من لم يجمعها. ومن الذين تأتى لهم ذلك الإمام جار الله الزمخشري الذي نراه جعل من أهم أدوات المفسر أن يكون ملماً باللغة العربية وله القدرة على الاستنباطات البلاغية ، التراكيب الأدبية ولا شك أنه كان من البارعين في هذا الجانب من جوانب التفسير البلاغية. حيث يعد تفسيره "الكشاف" عمدة في هذا المجال.

Abstract :

The most important conditions that occupied the talents of Qura'n Sciences of the commentators and the most important reason of putting these conditions is the great care of the savants of Islam about the Holy Qura'n which Alla, the Mighty, has promised to. Many savants have written in this field and they have mentioned a number of conditions for competence to talk about Holy Qura'n and its interpretation. One of those who were competent to this was the Imam Gar Alla Az zamakhshari who chose the most important tool of an interpreter is to be familiar with Arabic Language and to have the ability of eloquent extractions and literal constructions and there is no doubt he had been excellent in this field of eloquent interpretation where his interpetation "AlKashaff" was considered as master in this respect.

* الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القــرآن

مقدمــــــــــة:

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه حمدا يكافئ نعمه و مزيده، والصلاة والسلام على سيد الخلق وأشرف المرسلين وخيرته من خلقه الصادق الأمين وعلى آله وصحابته الغر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فان علم التفسير من أجل العلوم وأعظمها ، لتعلقه بالقرآن الكريم الرسالة الخاتمة التي جاء بها النبيﷺ ، للعرب وغير العرب معجزة أدبية ورسالة أخلاقية ذات قيمة عالية تخاطب العقل وتحيي الفطرة السليمة التي لم تلوثها الأهواء أو تطمسها الشهوات، ولعل أفضل ما قيل فيه هو قول النبيﷺ كما جاء عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرْج منها يا رسول الله ؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا { إنا سمعنا قرآنا عجبا } { يهدي إلى الرشد } من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مسقيم خذها إليك يا أعور)(1)

ولهذا لم يحظ كتاب على وجه البسيطة بمثل ما حظي به القرآن الكريم حفظا ورسما تفسيرا وشرحا ووقوفا على مشكله وغريبه وكل جوانبه . فقد توفر عليه علماء أماجد منذ بداية البعثة حتى اليوم ، يقومون بواجب تفسيره واستخراج درره التي لا يتمكن منها إلا من قويت آلته وصقلت دربته ووفقه الله رب العالمين ، كشأن علماء الأمة الذين أجمعت على رسوخ قدمهم وعلو كعبهم في هذا المضمار فكان من المقدمين في وفدهم الإمام جار الله محمود بن عمر الشهير بالزمخشري .

ولما كانت مقدمات الكتب هي المفاتيح التي تفتح بها مغاليق أبواب تلك الكتب وندلف من خلالها الي رياضها و بساتينها فنشتار من أزهارها وثمارها ما نشاء ، فنجد مقدمات كتب التفسير لها هذه الميزة بصفة خاصة وذلك لتعدد مذاهب المفسرين واختلاف مناهجهم فكان من شأنهم أن تكون مقدماتهم مستوفاة تحمل دواع التأليف ووصف الأسلوب وما يجب أن يكون عليه من يسلك هذا الدرب الذي يحتاج إلى عدة خاصة ومحمل عتيد.

1- موضوع البحث:

موضوع البحث عن ؛ شروط المفسر كما يراها الزمخشري من خلال مقدمته في تفسيره الكشاف ، و قبل أن ندلف الي أعماق البحث يجدر بنا أن نشرح العنوان:

الشروط في اللغة :

الشرط في اللغة هو العلامة ، ومنه أشراط الساعة ، ومنه أيضا الإشتراط : وهي أن يضع الناس علامات يجعلونها بينهم وكان هذا قديما ، وفي لسان العرب الشروط : هو العهد والوثيقة ، ومن حقيقة الشرط وجوابه : أن يكون الثاني مسببا عن الأول ، ونحو ذلك إن زرتني أكرمتك [2]، وفي القاموس المحيط : الشرط : إلزام الشئ والتزامه في البيع ونحوه ، وجمعه شروط [3] .

الشروط في الاصطلاح :

الشروط: جمع شرط : وهو ما يتوقف عليه الشئ وليس منه ، ما يتوقف عليه وجود الشئ وليس منه ، كالطهارة للصلاة [4]. وجاء في التعريفات : الشرط : تعليق شئ بشي، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني ، وقيل الشرط ما يتوقف عليه وجود الشئ . ويكون خارجا عن ماهيته ، ولا يكون مؤثرا في وجوده ، وقيل الشرط : ما يتوقف ثبوت الحكم عليه[5].

التفسير لغة :

من الفسر : بمعنى الإبانة والكشف ، وهو الإيضاح والتبيين ، وكشف المراد عن اللفظ المشكل ، ويستعمل في الكشف عن المعاني المعقولة معنويا ، أكثر منه في المعقولة حسيا [6]. ومنها : فسرت عن ظهر الحصان أي : كشفت عنه . وهو أيضا كما جاء في تاج العروس : الكشف عن اللفظ المشـــــــكل [7].

التفسير في الاصطلاح:

التفسير: هو بيان كلام الله تعالى. وعرفه الزركشي : بأنه : (علم يفهم به كتاب الله تعالى ، المنزل على النبيﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[8] ، واستفسر : سأله أن يفسره [9].

المفســــر:

هو من توفرت له القدرة العلمية للنظر في كتاب الله سبحانه وتعالى ، مستجمعا للشروط الواجب توفرها فيمن يبين مراد الله تعالى وفق ما فتح عليه من الفهم ، منضبطا بضوابط الشرع والعقل ، مع تحليه بالآداب العامة للمفسر كما ذكرها العلماء.

2- أهمية البحث :

يعد تفسير: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، من خيرة كتب التفسير وذلك لما أوضح فيه من وجوه الإعجاز ولما أظهر فيه من جمال وبلاغة النظم القرآني، وكان لنبوغ الزمخشري أثره الواضح في احتفاء العلماء بتفسيره وأن تتعلق به قلوب المفسرين.و لهذه الأهمية الخاصة التي أبداها العلماء لتفسير الكشاف ولما يتمتع به الإمام الزمخشري من الأهلية التامة والقدرة على التفسير كانت رؤيته على مايجب أن يكون عليه المفسر ــ كما ذكر ذلك في مقدمته ــ ، محل دراسة

وفحص هذا البحث الذي سنقف من خلاله على رؤية الزمخشري لشروط المفسر كما يراها حتى تعم الفائدة

و تكتسب الدراسة أهميتها من واقع أهمية تفسير الكشاف وقيمته العلمية والقدرة العالية والتمكن التام الذي أبداه الإمام الزمخشري في تفسيره، ولهذا فمعرفتنا لشروط المفسر كما يراها علم من أعلام التفسير مثل الزمخشري تؤكد لنا أهمية هذه الدراسة التي نقف من خلالها على القدرات التي يجب توفرها في من يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى.

3- أسباب اختيار وأهداف البحث:

لهذا البحث أسباب متعددة دعتني للبحث فيه ، ولأحقق من بعد هذه الأسباب أهداف وأغراض موضوعية لها فوائدها المتعددة التي يمكن إجمالها في الآتي:

1/ تحقيق رغبة خاصة ظلت تراودني في أن أخدم القرآن الكريم و أمد سببا من أسباب الصلة به ، وهكذا أتيحت لي أن تكون من خلال تفسير الكشاف الذي أعجب به كثيرًا.

2/ إظهار قدرات ألإمام الزمخشري التي أبداها من خلال تفسيره وقدمها لنا في مقدمته ، واتاحتها للدارسين وأهل التخصص للاستفادة منها في هذا المجال.

3/ ضعف الفهم وتقاصر الهمم عن الوقوف أمام كتاب الله تفسيراً لآياته وفهمًا لمعانيه في هذا العصر، و بسط رؤية الإمام الزمخشري لشروط المفسر تكون حافزا للهمم ودافعًا للنظر في القرآن الكريم .

4/أهمية المقدمات الخاصة بكتب التفسير وإعطائها الأهمية اللازمة من ناحية الدراسة والفهم باعتبارها مدخلا مهما لفهم المفسر ومنهجه في تفسيره.

5/ الوقوف على تجارب علماء الأمة السابقين والإستفاده منها من خلال شهادتهم على أنفسهم كما أبدوها في مقدماتهم لكتبهم.

6/ رصد التقدم والتطور الذي صاحب مسيره التفسير من خلال الخبرات التراكمية التي قدمها لنا جهابذة المفسرين من خلال كتاباتهم.

7/ توضيح حرص علماء الأمة واهتمامهم في تقعيد قواعد التفسير والتعامل مع آيات كتاب الله تعالى وفق منهج حكيم يجب توفره في كل من يتصدى لهذا العلم.

8/ بيان خطورة التفسير وأهميته من خلال هذه الشروط التي وضعها علماء الأمة لمن ينبري لتفسير القرآن الكريم. وليس تفسير كتاب الله بالأمر الهين الذي يرتاده كل من هب ودب.

9/ ضرورة بقاء الشروط التي يجب توفرها في المفسر ، مع ضرورة التطور في الفهم حتى لا ينفصل المفسر عن واقعه الذي يعيشه .

10/ البحث يعد تدريبا للباحث في مجال الدراسات الإسلامية ومدخلًا لفهم القرآن وكيفية التعامل معه.

11/ لتعدد مواهب الزمخشري ونبوغه في عدد من العلوم ينبغي أن نحمل ما قاله في مقدمته محمل الجد كأحد كبار المتخصصين في علم التفسير ونعمل به .

المبحث الأول:

الإمام الزمخشري حياته وعلمه:

حظي الإمام الزمخشري بشهرة واسعة كأحد أئمة التفسير والحديث والنحو واللغة والأدب . وكان إمامًا مقدمًا في علوم العربية ويعد تفسيره : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، من أشهر كتب التفسير المتداولة و التي تلقتها الأمة بالقبول وقد كثرت شروحه ومراجعاته .

اسمه :

محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الحنفي المعتزلي [10]

نسبه:

ينسب إلى زمخشر [11] وهي قرية جامعة من نواحي خوارزم وهي في دولة إيران الإسلامية ، فيقال له : الزمخشري بفتح أوله وثانيه ، ثم خاء معجمة ساكنة .

كنيته:

يكنى الزمخشري بأبي القاسم جار الله ،والأخير لقبه لأنه جاور بمكة زمانا [12].

مولده:

ولد بقريته زمخشر في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة من الهجرة 467هـ .

نشأته:

نشأ الزمخشري في بيئته بخوارزم التي تعد ثغرًا من ثغور الإسلام في عهد نظام الملك الذي كان يشجع العلم والعلماء فجعل نصيبا من الخزانة لأرباب العلوم وأصحاب الحقوق لا يؤخر رسوما لاتغير ، فصار إحسان السلطان بين أهل العلم ميراثا. ولما بلغ الزمخشري سن الطلب رحل إلى بخارى (13) لطلب العلم، الذي بذل في تحصيله شطرًا كبيرا من حياته أفرغه في العلم والتأليف ، الذي تفرغ له تفرغًا تامًا حيث لم يشغل نفسه بالزواج فاعتزل النساء ونسلهن (14).

وقد روي الزمخشري عن سبب قطع رجله فقال: دعاء الوالدة ؛ ذلك أني كنت في صباي أمسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله ، وفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله ، في الخيط فقالت أمي : قطع الله رجلك كما قطعت رجله ، فلما وصلت سن طلب العلم ، رحلت إلى بخارى ، فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي [15]، وكان بعد ذلك يمشي في جارن وهو جهاز خاص يساعده على المشي .

ومن هذه القصة المؤلمة التي كشف الزمخشري فيها بنفسه عن جانب من خلقه الجميل وصراحته ،مبينا ما لأمه من فضل كعطفها ورحمتها بالحيوان حتى أنها دعت عليه، فأصابه ما أصابه من دعائها .

وفاته:

توفى الزمخشري بجرجانية خوارزم [16]في ليلة عرفة بعد رجوعه من مكة في سنة ثمانية وثلاثين وخمسمائة من الهجرة (538هـ) [17]، وذكر صاحب كتاب مرآة الجنان [18] بأن الزمخشري أوصى بأن تكتب على قبره الأبيات التالية:

يامن يرى مد البعوض جناحها في ظلمـــــــــــة الليل البهيم الأليل

ويرى نياط [19]عروقها في نحرها والمخ في تلك العظـــــــــام النحل

اغفر لعبد تاب من فرطاته [20]ما كان منـــــــه في الزمـــان الأول

عصره:

عاصر الإمام الزمخشري عهد تأسيس الدولة السلجوقية ، فمدح نظام الملك وزير جلال الدين ملك شاه ونوه بعلمه وأدبه .وعندما انتهى الزمخشري من مؤلفه النحوي المفصل في صنعة الإعراب غلب على نفسه التصوف والتنسك وأصبحت غايته من التأليف غاية دينية ، دافعه إلى ذلك إعلاء كلمة الحق وراية الدين ، وقد أبان ذلك في كتابه الفائق في غريب الحديث(21)، وعلى سعة و تعدد مؤلفات الإمام الزمخشري نجده كثير الحفاوة متيما باللغة العربية متفانيا في خدمتها والتصنيف في علومها [22] ، ونجد الجانب اللغوي جليا في نفسيره كما سيرد.

مؤلفاته:

رفد الزمخشري المكتبة الإسلامية بمؤلفات كثيرة قيمة منها [23]:ـــ

1/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل .

2/ الفائق في تفسير غريب الحديث.

3/ أساس البلاغة في اللغة .

4/ ربيع الأبرار وفصوص الأخبار.

5/ متشابه أسماء الرواة .

6/ النصائح الكبار .

7/ النصائح الصغار .

8/ ضالة الناشد .

9/ الرائض في علم الفرائض .

10/ المفصل في الإعراب .

11/ الأنموذج في النحو .

12/ المفرد والمؤلف في النحو .

13/ رؤوس المسائل في الفقه .

14/ المستقصى في أمثال العرب .

15/شقائق النعمان .

16/ المنهاج في الأصول .

17/ الرسالة الناصحة .

18/ الأمالي في كل فن .

شيوخه:

من شيوخ الزمخشري الذين كان لهم أثرٌ واضحٌ عليه في النحو والأدب هو شيخه أبي مضر الضبي الذي كان يعرف بفريد عصره ووحيد دهره، ومنهم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد القفطي صاحب كتاب أنباء الرواة[24] ، وأخذ عن أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري[25]ومنهم أبو الخطاب نصر بن أحمد مسند بغداد[26]، ومن شيوخه كذلك الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن عبد الله بن حمزة البغدادي اللغوي له مؤلفات كثيرة[27]، وممن أخذ عنهم أيضا شيخه اليابري وهو عبد الله بن طلحة بن محمد بن محمد بن عبد الله ، ومن شيوخه أيضا أبو الفضل العباس بن الشيخ بن أبي العباس أحمد بن محمد بن الشقاني الحسنوي[28]من أهل نيسابور ، غير هؤلاء كثر وإنما ذكرنا هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر.

تلاميذه:

ما دخل الزمخشري بلدا إلا واجتمع عليه أهلها وتتلمذوا له، وما تأخر أحد منهم إلا وسلم له واعترف بفضله وعلمه ، وقد قدم الزمخشري إلى بغداد ولقي بها الكبار من العلماء وأخذ عنهم واستفاد من علمهم ، ودخل خراسان[29]أيضا فأفاد بها واستفاد ، ومن الذين تتلمذوا له وقرءوا عليه يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي أحد أئمة الأدب[30]، وأجاز أيضا أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي وزينب الشعرية(31)

ذكر صاحب كتاب الأنساب :(أن له جماعة من الأصحاب والتلامذة ، وروى لي عنه أبو المحاسن إسماعيل بن عبد الله ألطويلي بطبرستان ، وأبو المحاسن بن عبد الله السمسار بزمخشر ، وأبو أسعد أحمد بن محمود ألشاشي بسمرقند ، وأبو الطاهر سلمان بن عبد الملك الفقيه بخوارزم[32]. ومن المعروف أن كتابه الكشاف كان يمليه على تلاميذه بمكة المكرمة وقت إقامته بها. ولم يكن الذين تتلمذوا عليه يسعهم عد أو يشملهم حصر.

منهجه في التفسير:

من أهم المصادر التي استقى منها الإمام الزمخشري واستفاد منها في تفسيره ، تفسير مجاهد ، وتفسير عمرو بن عبيد ألمعتزلي، وأبي بكر الأصم ألمعتزلي ، والزجاج النحوي ، والرماني ألمعتزلي. فقد كان الزمخشري معتزلي الإعتقاد ، متظاهرا به ، منتصرا له.

انتصاره لمذهب المعتزلة:

ولما كان صاحب الكشاف من كبار المعتزلة فمن نافلة القول أن ينتصر لمذهبه كغيره من المعتزلة، فنراه إذا مر بلفظ يشتبه عليه ولا يتفق مع مذهبه ، يحاول بكل جهوده أن يبطل هذا المعنى الظاهر وأن يثبت للفظ معنى آخر موجودًا في اللغة ، فمثلاً نراه عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ سورة القيامة: الآيات 22- 23، يتخلص من المعنى الظاهر لكلمة ناظرة ؛ لأنه لا يتفق مع الذي لا يقول برؤية الله تعالى ، ونراه يثبت له معنى آخر هو التوقع

والرجاء ، ويستشهد على ذلك بالشعر العربي فيقول (إلي ربها ناظرة) تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره ، وهذا معنى تقديم المفعول ، ألا ترى إلى قوله : (إلى ربك يومئذ المستقر)، وقوله: (إلى ربك يومئذ المساق) و (إلى الله المصير) وغيرها من أمثال هذه الآيات الكريمة ، كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ، ولا تدخل تحت العدد ، وفي محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم ؛ فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم ؛ لأنهم الآمنون الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصهم بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص. والذي يصح معه ، أن يكون من قول الناس ؛ أنا إلى فلان ناظر مايصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء[33]،

اهتمامه ببلاغة القرآن الكريم :

إن المبدأ الغالب على جهود الزمخشري التفسيرية ، هي إظهار ما في القرآن من الثروة البلاغية التي كان لها الأثر الكبير في عجز العرب عن معارضته والإتيان

بأقصر سورة من مثله ، وفي تفسيره لعدد من الآيات يبدئ ضروبا من الاستعارات و المجازات والأشكال البلاغية الأخرى ، فهو حريص أن يبرز جمال أسلوب القرآن وكمال نظمه ، وهو بهذا لا يوجد تفسير أوسع مجالا في جهوده في هذا الصدد من هذا التفسير [34].

تفسيره القرآن بالقرآن:

وكذلك كان الزمخشري يستعين بالقرآن لتفسير الآيات التي ينظر فيها على نهج التفسير المأثور الذي اشتهر به الإمام الطبري ، ومثال ذلك تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (3) سورة البقرة)يقول الزمخشري : وحقيقته متلبسين بالغيب كقوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ**(49)﴾ سورة الأنبياء . وكذلك في تفسيره [35] قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ سورة

النحل ٤٣.قال : فيه دلالة على أنه لم يرسل للدعوة العامة ملكا ، وقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة فاطر: ١ ومن أمثلة تفسيره القرآن بالقرآن أيضا تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ سورة النحل: ٦٢ يقول : العاقبة الحسنى عند الله، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾ سورة فصلت: 50.

تفسيره للقرآن بالحديث النبوي:

يستشهد الزمخشري في تفسيره للقرآن بالحديث النبوي كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة يوسف: 53 ذكر الزمخشري عن رسول الله ﷺ (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) [36]،. ونجد أمثال هذا متوفر في تفسيره . ومما أخذ على الإمام الزمخشري ، عدم تحريه الدقة في إيراد الأحاديث التي ساقها في تفسيره ، كاستشهاده بأحاديث ابن أبي مريم في فضائل السور.

ذكره أسباب النزول:

يورد الزمخشري أسباب النزول مسبوقة بلفظ : قيل أو روى ، بدون عزو الرواية لصاحبها ، حيث قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ سورة البقرة:197، يسرد ذلك بقوله قيل: كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلين ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس ، فنزلت الآية [37].

موقفه من مسائل الفقه:

لم يتوسع الإمام الزمخشري في المسائل الفقهية في تفسيره ، وهو معتدل لا يتعصب لمذهبه الحنفي ، ويظهر ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سورة البقرة: 237 قال الزمخشري: والذي بيده عقدة النكاح الولي ، يعني إلا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبن بنصف المهر ، وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي، فكيف آخذ منه شيئا أو يعفو الولي ؛ الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الإمام الشافعي ، وقيل هو الزوج وعفوه أن يسوق إليها المهر كاملاً وهو مذهب أبي حنيفة، ويقول بعد هذا العرض : والأول ظاهر الصحة (38) .

موقفه من الإسرائيليات:

لم يكثر الزمخشري من ذكر الروايات الإسرائيلية في تفسيره ، فإن ذكر ذلك يصدر الرواية بلفظ روى مشعرًا بضعفها وبعدها عن الصحة ، أو يذكرها مفوضاً علمه إلى الله كما في تفسيره لقوله تعالى: **﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾** سورة النمل: 35 يقول : (روي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق و القرطة راكبي الخيل (39) ...) ومثال آخر كما جاء في تفسيره لقوله نعالى: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾** سورة يوسف: 52، يقول: متصل بقوله **﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾** سورة يوسف: 50 وأضاف لقوله ولقد لفقت

المبطلة روايات مصنوعة، وزعموا أن يوسف حين قال: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾** سورة يوسف: 52 قال له جبريل : (ولا حين هممت بها ، وقالت امرأة العزيز: ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف ، وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسوله(40).) وربما يعود رفضه للإسرائيليات بسبب اعتماده على العقل الذي يرفض الخرافات ويحكم المنطق في قياسه ومنطلقه، وهذا هو مذهب المعتزلة ومبدأ من مبادئهم الأساسية .

اعتزاله:

قال صاحب وفيات الأعيان : كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد ، متظاهرًا باعتزاله، حتى نقل عنه : أنه كان إذا قصد صاحبًا له واستأذن عليه في الدخول ، يقول لمن يأخذ له الأذن : قل له . أبو القاسم المعتزلي بالباب. (41) وفي مقدمة البحر المحيط ورد عن الكشاف الآتي :(هذا مع ما في كتابه من نصرة مذهبه ، وتقحم مرتكبه ، وتجشم حمل كتاب الله عز وجل عليه ، ونسبة ذلك إليه ، فمغتفر إساءته لإحسانه ، ومصفوح عن سقطه في بعض ، لإصابته في أكثر تبيانه (42) ، وقد وقفت مؤخرًا على رسالة يذكر فيها صاحبها؛ أن الزمخشري ترك مذهبه في الاعتزال في آخر عمره (43)، ولم أقف على ما يؤكد لي ذلك . والراجح أنه كان على مذهب المعتزلة إلى آخر يوم في حياته ؛ وذلك لأن أمر العقيدة من الأمور المهمة في حياة الإنسان ، فإذا كان غير معتقده ، إذن لغير كثيرا مما لازال ينسب إليه من نصوص واضحة تدعم فكره الاعتزالي الواضح في تفسيره .

قيمة الكشاف العلمية:

بخلاف ما فيه من الاعتزال يعد تفسير الكشاف تفسيراً لم يسبق إليه ، فقد أودعه من المعارف العلوم المتعددة ، ولاسيما ما برع فيه من لغة العرب و المعرفة بأشعارهم ، وما أودع فيه من علوم البلاغة والبيان والإعراب والأدب ، وقد أضفى نبوغه العلمي والأدبي على تفسيره الكشاف ثوبا جميلا ، لفت إليه أنظار العلماء وعلق به قلوب

المفسرين (44). ويقول محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون: وفي الحقيقة أن الزمخشري قد جمع كل الوسائل التي لابد منها للمفسر ، فأخرج للناس هذا الكتاب العظيم في تفسير القرآن. ولما علم الزمخشري أن كتابه قد تحلى بهذه الأوصاف قال متحدثا بنعمة الله تعالى: **إن التفاسير في الدنيا بلا عـــــدد وليس فيها لعمري مثـل كشافي**

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي (45)

وإذا كان الزمخشري قد اعتز بكشافه ، فإنا نعذره في ذلك ولا نلومه عليه ؛ فالكتاب حد في بابه ، علم شامخ في نظر علماء التفسير وطلابه ولقد اعترف له خصومه

بالبراعة وحسن الصناعة ، وإن أخذوا عليه بعض المآخذ التي ترجع إلى ما فيه من الاعتزال[46] .

المبحث الثاني:

شروط المفسر عند الزمخشري:

اتفقت كلمة المسلمين ، وانعقد إجماعهم على جواز تفسير القرآن لمن كان من أهل التفسير بما يدخل تحت طاقته البشرية ؛ بدون الإحاطة بجميع مراد الله تعالى ، فالتفسير مشتملُ على بيان معنى الأصل وشرحه ، بحل ألفاظه فيما يحتاج تفهمه للحل ، وبيان مراده كذلك ، وتفصيل معناه فيما يحتاج للتفصيل ، وتوجيه مسائله فيما يحتاج للتوجيه ، وتقرير دلائله فيما يحتاج للتقرير ، ونحو ذلك من كل ماله تعلق بفهم القرآن وتدبره [47] .

فهم الصحابة للتفسير:

لقد جرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل عليهم السلام ، إلى بني جنسهم وخطابهم لهم بلسانهم حتى تقوم عليهم الحجة ، فنزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليب كلامهم قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ سورة إبراهيم: 4 ولهذا كان النبيﷺ يفهم القرآن جملة وتفصيلا ، بعد أن تكفل الله له بالحفظ والبيان فقد قال جل من قائل:

﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ سورة القيامة: 17 - 19 أما الصحابة رضوان الله عنهم فلم يكن يتسنى لهم فهم القرآن الكريم لعروبتهم فحسب كما ذهب إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته حيث يقول : (إن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه [48]،) فنزول القرآن بلغة العرب لا يقتضي أن العرب كلهم يفهمونه في مفرداته وتراكيبه. [49].

لم يتساو الصحابة رضوان الله عنهم في فهم معاني القرآن و أشكل للبعض ما ظهر للآخرين ، وهذا يرجع للميزات الفردية والقدرات الذاتية والعقلية ، وتفاوتهم في ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات ، فلم يتساووا في معرفة المعاني ، والشاهد لهذا ما كان من سيدنا عمر رضي الله عنه ، كما جاء عن أنس : أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ سورة عبس: 31 فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ . ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر[(50)] .

وما روى من أن عمر كان على المنبر فقرأ : ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة النحل: 47 ثم سأل عن معنى التخوف ، فقال له رجل من هذيل : التخوف عندنا النقص ، ثم أنشده :

تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن [(51)]

وما ذكر عن ابن عباس قال : (كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان تخاصمان في بئر ، فقال : أحدهما أنا فطرتها ، والآخر يقول أنا ابتدأتها(52)). ولا شك هذا مثال من صحابيين جليلين اشتهرا بالتفسير والعلم من بين أقرانهم ، فما عسى أن يكون سواهما . فكان مردهم في ذلك راجع إلى اختلافهم في أدوات الفهم وفي العلم بلغتهم ومنهم من عرف أسباب النزول ومنهم من لازم النبيﷺ كما اختلفت درجاتهم العلمية ومواهبهم العقلية .

أدوات التفسير عند الصحابة:

1/ معرفة اللغة العربية وأسرارها:

ومعرفة اللغة يعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير اللغة العربية.

2/ معرفة عادات العرب:

وفهم عادات العرب تعين على فهم كثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم فمثلا قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ سورة التوبة: 37وقوله: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ

الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة البقرة: 189 لايمكن فهم المراد من هذه الآيات ، إلا لمن عرف عادات العرب في الجاهلية وقت نزول القرآن الكريم [53] .

3/ معرفة أحوال اليهود والنصارى:

ومعرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن، تعين على فهم الآيات التي فيها إشارة إلى أعمالهم والرد عليهم .

4/ معرفة أسباب النزول:

معرفة أسباب النزول وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات ، تعين على فهم كثير من الآيات القرآنية ، قال الواحدي: (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها [54]، وقال ابن دقيق العيد: (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن [55])وقال ابن تيمية : (معرفة السبب تورث العلم بالمسبب)

5/ قوة الفهم وسعة الإدراك:

هذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده وكثير من آيات القرآن يدق معناها ويخفى المراد منها ، ولا يظهر إلا لمن أوتي حظا من الفهم ونور البصيرة ، فقد أوتي ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنه [56] .

شرف التفسير:

لاشك أن التفسير من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدرًا، وهو أشرف العلوم موضوعا وغرضا وحاجة إليه لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة، ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية ، وإنما اشتدت الحاجة إليه لأن كل كمال ديني أو دنيوي لابد وأن يكون موافقا للشرع، وموافقته تتوقف على العلم بكتاب الله تعالى [57]

شروط المفسر:

لابد لمن يتصدى لتفسير القرآن من شروط يلزمه أن يحوزها ويتحلى بها حتى يحفظ روعة الوحي وجلاله ، وقد ذكر العلماء للمفسر شروطا نجملها في الآتي كما ذكرها الشيخ منّاع القطان عن السيوطي[58].

1/ صحة الاعتقاد :

فإن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها ، وكثيرا ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار ، فإذا صنف أحدهم كتابا في التفسير أوّل الآيات التي تخالف عقيدته ، وحمله باطل مذهبه ، ليصد الناس عن إتباع السلف ، ولزوم طريق الهدى.

2/التجرد من الهوى:

فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم ، فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان ، كدأب طوائف القدرية و الرافضة و المعتزلة ونحوهم .

3/ أن يفسر القرآن بالقرآن :

على المفسر أن يبدأ أولا تفسير القرآن بالقرآن ، فما أجمل في موضع فصل في موضع آخر ، وما اختصر في مكان بسط في مكان آخر .

4/ طلب التفسير من السنة :

فالسنة شارحة للقرآن موضحة له ، وقد ذكر القرآن أن أحكام رسول الله ﷺ إنما تصدر منه عن طريق الله ، قال تعالى :

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ سورة النساء: 105 وذكر الله تعالى أن السنة مبينة للكتاب قال تعالى **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** سورة النحل: 44 ، ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه : (كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن) وأمثلة هذا من القرآن كثيرة ، جمعها الإمام السيوطي (كتفسير السبيل بالزاد والراحة ، وتفسير الظلم بالشرك ، وتفسير الحساب اليسير بالعرض .)

5/ أقوال الصحابة :

فإذا لم يجد التفسير في السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح.

6/ أقوال التابعين :

بعد أقوال الصحابة رجع كثير من الأئمة في ذلك لأقوال التابعين ، كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، والربيع بن أنس ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، وغيرهم من التابعين ، ومن التابعين من تلقى جميع التفسير من الصحابة ، وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال ، والمعتمد في ذلك كله النقل الصحيح ، ولهذا قال الإمام أحمد ابن حنبل : (ثلاثة كتب لا أصل لها : المغازي ، والملاحم ، والتفسير) يعني بهذا : (التفسير الذي لا يعتمد على الروايات الصحيحة والنقل) .

7/ العلم باللغة العربية :

فإن القرآن نزل بلسان عربي ، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الأفراد ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد : (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب) [59].

والمعاني تختلف باختلاف الإعراب ، ومن هنا مست الحاجة إلى اعتبار علم النحو، والتصريف الذي تعرف به الأبنية ، والكلمة المبهمة يتضح معناها بمصادرها

ومشتقاتها ، وخواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، ومن حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة و خفائها ، ثم من ناحية وجوه تحسين الكلام ، وهي علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع . فهي من أعظم أركان المفسر، إذ لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك الإعجاز بهذه العلوم .

8/العلم بالعلوم المتصلة بالقرآن :

كعلم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ويترجح بعض وجر الاحتمال على بعض ، وعلم التوحيد حتى لا يؤول آيات الكتاب التي في حق الله وصفاته تأويلا يتجاوز به الحق ، وعلم الأصول ، وأصول التفسير خاصة مع التعمق في أبوابه التي لا يتضح المعنى ولا يستقيم المراد بدونها ، كمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، ونحو ذلك

9/ دقة الفهم :

تمكن المفسر من ترجيح معنى على أخر ، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشـــــرع (60) .

العلوم المهمة للمفسر :

إن التعرف على شروط وآداب المفسر من أهم ما يجب الاعتناء به ، لأنها تمس جانبا مهما من جوانب العلوم الشرعية ، وذلك حتى يتم معرفة وحفظ الوحي والإبقاء على روعته وجلاله حتى يصفوا مشربه وموارده.

وقد اختلف العلماء في من يجوز له أن يفسر القرآن الكريم ! وهل يجوز ذلك للكل؟ فقال بعضهم : لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شي من القرآن ، وإن كان عالما أديبا . متسعا في معرفة الأدلة و الفقه ، و النحو والأخبار ، و الآثار ، وليس له إلا أن ينتهي الى ما روي عن النبيﷺ في ذلك .

ومنهم من قال: يحوز تفسيره لمن كان جامعا للعاوم التي يحتاج المفسر إليها (61).

وقد عد الإمام السيوطي ــ رحمه الله تعالى ــ العلوم التي يحتاج إليها المفسر وشرحها في كتابه الإتقان في علوم القرآن ، فقال :

العلوم التي يحتاجها المفسر خمسة عشر علما :ـــ

1/ أحدها : اللغة :

لأن بها يعرف شرح المفردات و مدلولات الألفاظ بحسب الوسع ، فقال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب. ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها ، فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين و المراد الآخر.

2/ الثاني : النحو :

لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ، فلابد من اعتباره .

3/ الثالث : علم الصرف :

لأن به تعرف الأبنية و الصيغ ، قال ابن فارس : ومن فاته علمه فاته المعظم ، فحين نجد مثلا كلمة مبهمة فاذا صرفناها اتضحت بمصادرها .

وقال الإمام الزمخشري : من بدع التفاسير قول من قال : إن الإمام في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾** سورة الإسراء: 71 جمع أم ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم ، قال : وهذا غلط أوجبه جهله بالتصرف ، فإن أما لا تجمع على إمام [62].

4/ الرابع: الاشتقاق :

لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما، كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح ؟.

5/ الخامس6/ والسادس 7/ والسابع: وهي: علوم المعاني والبيان والبديع:

لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى ، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وحقائقها و بالثالث وجوه تحسين الكلام ، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك بهذه العلوم .

8/ الثامن: علم القراءات:

لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

9/ التاسع : أصول الدين :

أي علم التوحيد ، ومعرفة ما يجب لله تعالى وما يجوز له وما يستحيل عليه،فيعرف الفرق بين العقائد والشرائع.

10/ العاشر:أصول الفقه:

إذا به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط من النصوص.

11/ الحادي عشر : أسباب النزول و القصص:

إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه ، ويزيل الإشكال .

12/الثاني عشر:الناسخ والمنسوخ :

ليعلم المحكم من غيره، وهو علم مهم للمفسر،والاوقع في خطأ كبير.

13/الثالث عشر:علم الفقه :

إذ به يعرف مذاهب الفقهاء، ومن احتج منهم بالآية، ومن لم يحتج بها.

14/الرابع عشر:الأحاديث المبينة :

لتفسير المجمل والمبهم وتقييد المطلق،الي غير ذلك.

15/الخامس عشر:علم الموهبة :

وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.واليه الإشارة بحديث(من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ سورة البقرة: 282 .

قال الإمام السيوطي ــرحمة الله تعالى ــ : ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول:هذا شئ ليس في قدرة الإنسان وليس كما ظننت من الأشكال،والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد.

هذا العلم ذكره الإمام السيوطي أساسا لهذه العلوم ، وفي توضيحها يقول الإمام الزركشي في البرهان : (أعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي و لا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، أو راجع إلى معقوله . وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض)(63).

وفي هذا المعنى يقول السيوطي : قوله تعلى : **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾** الأعراف: 146

قال سفيان ابن عيينة في معناه : انزع عنهم فهم القرآن [64]. قال ابن عطية في تفسيره في معناها: (فالمعنى : عن فهمها وتصديقها [65].

قال ابن أبي الدنيا:وعلوم القران وما يستنبطه منه بحر لا ساحل له.ثم قال :(فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر ،لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها ، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه ، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي عنه ، قال والصحابة و التابعون عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب ، واستفادوا العلوم الأخرى من النبيﷺ [66]. وقد أضاف الإمام الطبري في مقدمة تفسيره : أعلم أن من شروط صحة التفسير :

أولا : صحة الاعتقاد ، ولزوم سنة الدين :

فان كان مغموصا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ، ولأنه لا يؤمن إن كان متهما بالإلحاد أن يبغي الفتنة ، ويغر الناس بلبه وخداعه ، كدأب الباطنية وغلاة الرافضة . (ممن فسروا القرآن بأهوائهم) .

ثانيا : التجرد من الهوى :

الأهواء تدفع أصحابها الى نصرة مذهبهم فيغرون الناس بلين الكلام و حسن البيان، كدأب طوائف القدرية و المعتزلة ونحوهم من غلاة المذاهب [67].

مقدمة الكشاف:

تعتبر مقدمة تفسير الكشاف مقدمة مختصرة مقارنة بغيرها من مقدمات كتب التفسير المتداولة ، وعلى مابها من الإختصارفهي قوية السبك جامعة ضافية ، عظيمة الفائدة ، حيث ابتدأها بقوله : (الحمد لله الذي أنزل القرآن ......، ثم يقول : أعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية ، وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية ، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطأ يسيرة ، أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة ، وإنما الذي تباينت فيه الرتب ، وتحاكت فيه الركب[68]، ووقع فيه الاستباق والتناضل ، وعظم فيه التفاوت والتفاضل ، حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد ، وترقى إلى أن عد ألف بواحد ـ مافي العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ، ومن لطائف معان يدق فيها مباحث للفكر ، ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار ، لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم ، وإلا واسطتهم وفصهم[69]، وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم ، عناة[70]في يد التقليد لا يمن عليهم بحز نواصيهم وإطلاقهم، ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح ، وأنهضها بما يبهر الألباب القوا رح[71] من غرائب نكت يلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق سلكها[72] علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه ، وإجالة النظر فيه كل ذي علم ، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن ، فالفقيه وإن برّز على الأقران في علم الفتاوي والأحكام ، والمتكلم وإن بزّ [73] أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية [74] أحفظ ، والواعظ و إن كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه [75] ، و اللغوي وإن علك النغات بقوة لحييه[76] لا يتصدى منهم لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في عملين مختصين بالقرآن : وهما علم المعاني وعلم البيان ، وتمهل في ارتيادهما ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ﷺ ، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ، جامعا بين أمرين

: تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات ، طويل المراجعات ، قد رجع زمانا ورجع إليه ، ورد ورد [77] عليه فارسا في علم الإعراب، مقدما في حملة الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وقادها ، يقظان النفس دراكا للمحة وإن لطف شانها ، منتبها على الرمزة وإن خفي مكانها . لا كزا جاسيا ، ولا غليظا جافيا [78] . متصرفا ذا دربة بأساليب النظم و النثر ، مرتاضا عير ريض [79] بتلقيح بنات الفكر[80] . قد علم كيف يرتب الكلام و يؤلف ، كيف ينظم ويرصف ، طالما دفع إلى مضايقه ، ووقع في مداحضه ومزالقه ....)[81].

شروط المفسر في مقدمة الكشاف :

ذكر الزمخشري شروطا عديدة ينبغي أن تتوفر في كل من يريد أن يفسر كتاب الله تعالى ، وقد قسمت هذه الشروط إلى قسمين ، فجعلت قسما منها يختص بالصفات العلمية ، وقسم يختص بالصفات النفسية والسلوكية وهي كالآتي :

أولها :

الصفات العلمية:

1/ التمكن من علمي المعاني والبيان:

لقد استطاع الزمخشري أن يبين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، لما أظهر من جمال النظم القرآني وبلاغته ، وليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته ؛ لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم . لاسيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب ، و المعرفة بأشعارهم . وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة ، والبيان ، الإعراب ، والأدب ، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي و الأدبي على تفسير الكشاف ثوبا جميلا ، لفت إليه أنظار العلماء وعلّق به قلوب المفسرين .

يقول الإمام الذهبي : هذا وقد أحس الزمخشري إحساسا قويا بضرورة الإلمام بعلمي المعاني والبيان قبل كل شئ ، لمن يريد أن يفسر كتاب الله عز وجل[82] . وقد ذكر ذلك الزمخشري في مقدمة الكشاف فقال (... ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح

، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح ، من غرائب نكت يلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق سبكها ، علم التفسير ، الذي لايتم لتعاطيه ، إجالة النظر فيه كل ذي علم ــ كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن ــ فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص و الأخبار وإن كان من ابن القرّية [83] أحفظ ، و الواعظ وإن كان من الحسن البصري [84] أوعظ ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه [85] ، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه ، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق ، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان . وقد برع الزمخشري في هذين العلمين .

2/ أن يكون آخذ بحظ من كل علم:

وذلك أن يكون متوفرا على العلوم المصاحبة مثل علوم الطبيعة والفلك والرياضيات وعلوم الطب والهندسة، وأما العلوم التي لا تقوم آلته في التفسير إلا بها فقد ذكرها كما سيرد، وقد تداخلت العلوم في هذا الزمان وأصبح من الواجب على من يتصدون للتفسير وبيان آيات الله للناس أن يكون لهم إلماماً بالعلوم العصرية ، وقد أظهر التفسير الموضوعي جوانبا متعددة في الإعجاز العلمي في القرآن ؛ وذلك لطبيعة التخصص التي اقتضتها ظروف الحياة المعاصرة .

3/ الجمع بين التحقيق و الحفظ :

التحقيق هو الغوص في أعماق العلوم وسبر أغوارها واستخراج دررها من أصدافها ، وهذا يتيح للمفسر القدرة على الاستنباط واستخلاص المعاني ، والحفظ هو القدرة على استظهار المتون والنصوص حتى تكون حاضرة لديه عند تفسيره لكتاب الله تعالى . والجمع بين الحفظ والتحقيق هي غاية لا يدركها إلا الفحول من الرجال من أصحاب الهمم العالية.

4/ كثرة المطالعات والمراجعات:

كثرة المطالعات (جمع مطالعة) أن يكون مداوما على القراءة والمذاكرة حتى يستحكم لديه زمام العلوم ، ويكون ضابطا لها ، لا تتفلت من بين يديه الشواهد من الحديث الشريف أو غيرها مما يحتاج إليه ، وطويل المراجعات ؛ أي مداوم و كثير المراجعة ، ورجع زمانا طويلا في التعلم ، ورجع إليه في التعليم وبهذا يتمكن العلم لديه وتقوى حافظته بالمدارسة ، وترسخ عنده ألسنة الحجاج والحجة (86)

5/ المداومة على التعلم والمراجعة مرة بعد مرة :

وتكثر عند الزمخشري استخدام المترادفات للتوكيد وبيان الأهمية ، وأحيانا كثيرة يذكر المطلوب مثبتا ، ثم ينفي أضدادها مبالغة في إثباتها ، و المداومة على التعلم يوضح لدينا أن القرآن حمال وجوه كما يقال وهو كتاب للأمة الخاتمة ولم يبلغ فيه أحد القول الفصل في المسائل الاجتهادية ، ولهذا ينبغي للمفسر أن يكون مداوما على معرفة المستجدات في العلوم والنظريات التي تدحضها نظريات جديدة ، أو النظريات الحديثة التي توصل إليها العلم الحديث ، والفرضيات التي صارت نظريات إلى غير ذلك مما في مثل هذا الباب .

6/ أن يكون متمكناً من علم الإعراب :

أن يكون فارسا في علم الإعراب، وقد خصص النحو من بين سائر العلوم ، أي مع تمكنه من العلوم والأخذ منها بحظ وافر، أن يكون متمكنا من علم الإعراب ، فإنه العمدة في هذا الباب

7/ أن يكون مقدماً في حملة الكتاب :

أن يكون مقدماً في معرفة كتاب سيبويه ، على حملته فإنه أحسن كتاب وضع في بابه ، قال السيرافي: ما سبقه بمثله من قبله ولا لحقه من بعده ، وهذا يؤكد لنا ضرورة علم النحو الإعراب بالنسبة للتفسير وهي ضرورة وأهمية يراها الزمخشري بمكان .

8/ أن يكون متصرفاً ذا دربة بأساليب النظم والنثر:

أن تكون له قدرة على توجيه الأساليب و المعاني وتصريفها على الوجه الصحيح المتبادر حسب مقتضى السياق والفهم المقبول، والدربة: هي العادة والتجربة، وأساليب النظم والنثر هي: فنونه وأوجهه المختلفة .

9/ أن يكون مرتاضاً غير ريض بتلقيح بنات الفكر:

والمرتاض من تمت رياضته وكملت دربته ، وصارت له القدرة ، والقوامة بذاته على المعرفة والاستنباط ، في ما يتولد لديه من الأفكار و الفهم ، وغير الريض : وذلك لدفع التوهم و التجوز في المرتاض . و ما كان أهلا ولم يرض بعد ، أي لم يكتمل بنيانه ، وتتماسك أعضاؤه ، وهذا مثل في من لم تنضج لديه الفهوم أو تكتمل لديه العلوم وتختمر في ذهنه الأفكار والنتائج ، و(بنات الفكر) أما المقدمات وتلقيحها ؛ ترتيبها على الوجه الذي يؤدي للمطلوب . وأما النتائج كما اشتهر في الاستعمال : هو أن يراد استخراج نتيجة من أخرى ؛ دلالة على قوة الفطانة وكمال الرياضة ، أو يراد التلقيح لأجلها (87)، وقد علم تلقيح بنات الفكر : أي قد علم كيف يرتب أجزاء الكلام ، ويؤلف بينها وكيف ينظم أفرادها ، ويرصف في نظمها ؛ أي علم كيفية التلقيح في المقدمات وأجزائها .

10/ أن يكون له علم بكيفية ترتيب الكلام وتأليفه :

أي له علم باسلوب ترتيب أجزاء الكلام ، وكيف يؤلف بينها وكيف ينظم أفرادها (88) ، وذلك بعد أن تكتمل آلة العلم بالتفسير لمن يريد أن يفسر القرآن الكريم ، وبعد أن يحوز كافة الشروط المؤهلة ، لأن يصير مفسرا ، ينبغي أن تكون له القدرة على الصياغة الأدبية السليمة وتأليف الكلام على الوجه الصحيح .

11/ أن يعرف كيف ينظم ويرصف الكلام :

الترصيف : الضم و الإحكام للكلام وصياغته صياغة سليمة، فإن الحديث شانه شأن الطريق ، له مضايق ومضاحض ومزالق ، فالكلام السهل الممهد ذو الديباجة الناصعة ، السهل المنساب يعين على الفهم وتوصيل الفكرة عبر الكلمة البسيطة الطيبة (89).

ثانيها:

الصفات النفسية:

1/ الهمة العالية في معرفة استخلاص لطائف حجة الله :

الهمة العالية : هي القوة الدافعة للمثابرة ، والمحفزة للنشاط ومن لا يملك هذه القوة والهمة العالية فإنه ، سيفتر نشاطه وتقل عزيمته عن بلوغ أهدافه، ولا شك أن التفسير لايقدر عليه إلا أصحاب الهمم العوالي ، الذين رابطوا من أجله ووفروا جهودهم لمعرفة متشابهه ومشكله ، فهذا الزمخشري رحمه الله يقول : فقلت : قد ضاقت على المستعفى الحيل ، وعيت به العلل، ورأيتني قد أخذت مني السن ، وتقعقع الشن ، وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب[90] ، فأخذت في طريقة أخصر من الأولى ، مع ضمان التكثير من الفوائد ، و الفحص عن السرائر ، ووفق الله وسدد، ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[91] ، وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة ، وماهي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم ، وبركة أفيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم[92] ، أما ترى كيف توفرت لهذا الشيخ الهمة العالية والطموح ، في هذه السن التي يسكن فيها أهل زماننا هذا الى الدعة ، والخمول ، وكيف كان تم له اختزال المدة المقررة و المقدرة لإكمال تفسيره ، من سنين إلى أقل من ثلاث سنوات ، إنها الهمة العالية و التوفيق من الله رب العالمين .

2/ أن يكون مسترسل الطبيعة منقادها :

ومن هذا قولهم : بعير رسل ، أي : سهل السير[93] ، ويقصد بهذا أن يكون المفسر؛ سلس الطبيعة في الحركات الفكرية نحو دقائق العلوم سهل القبول لها ، لين في التعامل معها وتوجيهها ، و أن تكون نفسه متجردة من العقد النفسية ،

والرواسب الاجتماعية ، التي تكبل الإنسان تسير به في اتجاهات ومزالق يظهر أثرها في تفسيره ، ولاشك أن من يكون ذا طبيعة سهلة مسترسلة ، يتمتع بالنظرة الموضوعية السليمة الشاملة والمنصفة.

3/ مشتعل القريحة وقادها :

متوقد الذهن حاضر البديهة، في استجلاء الدقائق وانتقادها عند الوصول إليها ، وقوله : (وقادها) دفع لتوهم الخمود كنار العرفج بعد سرعة الاشتعال ، كما أن منقادها دفع لتخييل الضعف من الاسترسال . وقد يقال ؛ حاصله أن له طبيعة كالماء في السلاسة و القبول ، وكالنار في النفوذ و التوقد[94] ، وهو بهذا يشير إلى الذكاء الدائم و الحضور المستمر .

4/ يقظان النفس:

دائم الانتباه، مستجمع لقواه النفسية، ليس بالخامل، الذي تراه خائر العزيمة، طالبا لراحة بدنه، بالسكون ، والنعاس .

5/ دراكا للمحة وإن لطف شأنها :

سريع الإدراك لكل دقيق خفي مهما كان ، و اللمحة : هي الإشارة الخفية ، مهما كانت دقتها ولطافتها ، ولا شك أن بالقرآن لمحات ولطائف ، لا ينقب عنها إلا المدرك شديد الإدراك ، الذكي الفطن .

6/متنبها على الرمزة وإن خفي مكانها :

و الرمز: هو الإيماء بالشفتين والحاجبين، فهو متنبة فطنٌ للإيماء مهما دق وخفي، وكل هذا كناية عن التنبه و الذكاء و الحضور وسرعة الفهم والقدرة على استخلاص الدقائق والعبر.

7/ أن لا يكون كزاً جاسياً :

الكزازة : هي الانقباض والتيبس ، يقال رجل كز ، وقوم كز بالضم وفرس كزة ، إذا كان في عودها يبس عن الانعطاف ، وهذا بعكس أن يكون مسترسل الطبيعة منقادها ، وذكر الضد المقابل هنا إمعانا في التأكيد والإثبات لهذه المعاني ، فهو بهذا لا يكون متعنتاً ولا متزمتاً ولا متصلبا لرأيه متعنتا في مدارسته وتدريسه . و(الجاسي) الصلب من جسأت يده من العمل ، أي صلبت [95] .

8/أن لا يكون غليظاً جافياً:

و الجافي: من الجفاء وهو الغلظة في العشرة وترك الرفق في المعاملة والكلام. وقد أثبت أولا سلاسة الطبيعة وصفائها ، وجودة القريحة وذكائها بحسب الفطرة ، ثم ذكر أضدادها إمعانا في التأكيد وبيانا لضرورة هذه الصفات ووجوب التحلي بها ، ومن المسلم به أن الرفق و الحلم ما كان في شئ إلا زانه وما انعدم من شئ إلا شانه ، فعلى حملة القرآن وأهل التفسير ،

أن يكونوا من أحاسن الناس أخلاقا وأجملهم صفاتا فهم ورثة الأنبياء ومهمتهم البلاغ ، ولا يتيسر للمبلغ توصيل علمه للعامة والخاصة ؛ إذا لم يكن متحلياً بالأخلاق الفاضلة سهلاً ليناً في تعامله .

الخاتمـــــــــــــــة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام وكفى بها من نعمة والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة الحبيب المصطفى وآله وصحابته الطاهرين الأبرار والتابعين الأخيار .

تعتبر شروط المفسر من أهم ما شغلت به قوارح أصحاب علوم القرآن من المفسرين والمشتغلين بهذا الفن عموماً ، ولعل من أهم أسباب وضع هذه الشروط هو حرص علماء الإسلام على القرآن الكريم . وهذا من باب الحفظ الذي تعهد به رب العزة في حفظ كتابه ، وقد دون في هذا المجال أعداد كثيرة من العلماء ذكروا عدداً

من الشروط لا يعتبر مؤهلاً للتفسير من لم يجمعها ، من هؤلاء العلماء الإمام جار الله الزمخشري الذي نراه جعل : من أهم أدوات المفسر أن يكون ملما باللغة العربية . وله القدرة على الاستنباطات البلاغية والتراكيب الأدبية ، ولا شك أنه كان من البارعين في هذا الجانب من القرآن الكريم ، حيث يعد كتابه الكشاف من أفضل التفاسير التي بينت البلاغة القرآنية والإعجاز اللغوي فيه .

ولما كان الإمام جار الله الزمخشري يعد من المقدمين بين المفسرين فأنني

وقفت على مقدمته في تفسيره الكشاف ، فاستخلصت منها بعض الشروط والمواصفات التي ساقها لتكون من أفضل العدة التي يجب أن يستعين بها كل من يتصدى لتفسير كتاب الله سبحانه وتعالى ، وقد ذكر شروطا علمية وشروطا نفسية يجب أن يتحلى بها المفسر يمكن أن نقول إنها من باب آداب المفسر . وقد ساقها الزمخشري يرحمه الله تعالى باسلوب سهل مبسط ، في مقدمة مختصرة غنية بالمعاني والإشراقات الأدبية ، ولعل هذا من بلاغته وحسن أسلوبه حيث يبعد من التطويل والاستطراد الذي يبعد بك عن الغرض الأصلي . الزمخشري يرحمه الله هو خير من يتكلم في هذا الجانب وأفضل من يستمع له فيه .

التوصيـــــــات:

1/ الاهتمام بقراءة مقدمات كتب التفسير؛ لأنها المدخل الحقيقي لعالم صاحب التفسير، حيث كثيراً ما يشرحون في هذه المقدمات مناهجهم ودواعيهم للتفسير، وظروف حياتهم الاجتماعية و السياسية وغيرها.

2/ على كل من يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يلم بشروط المفسر العلمية و النفسية التي ذكرها الزمخشري .

3/ أرى أن يوكل أمر التفسير ــ في هذا الزمان ــ إلى مؤسسات تضم أعداداً من المتخصصين في العلوم المختلفة ، وأن تتكامل فيهم شروط المفسر، حتى يتصدون

للتفسير بصورة جماعية، وتتسنى لهم رؤية الجوانب المتعددة للآية الواحدة من وجهة تخصصاتهم المختلفة ، فالقرآن هو الرسالة الأخيرة للأمة الخاتمة وستتجدد فيه العلوم بحسب الطاقة البشرية والقدرة على الإستباط من فهم مقاصده ومراميه . .

4/ إذا وجد من له الأهلية التامة لتفسير كلام الله سبحانه وتعالى ، وحاز على كل شروط المفسر، وجب على الوالي المسلم أن يتعهده بالرعاية التامة ، ويضمن له نفقة كريمة تعينه على الحياة ومطالبها ، فهذا الزمخشري قد كان يتعهده بالرعاية الشريف الحسني حاكم مكة المكرمة في زمانه سنوات جواره بالحرم المكي .

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهوامش والمصادر والمراجع :

([1]) سنن الدارمي : 526/2 ، الحديث رقم : 3331 ، قال حسين سليم أسد : في إسناده مجهولان : أبو المختار سعد الطائي ، وابن أخي الحارث . وانظر المعجم الكبير84/20، وحلية الأولياء :253/5. وورد في سنن الترمذي : المجلد الخامس / 172 رقم الحديث : 2906 . قال أبو عيسى الإمام الترمذي : هذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول وفي الحارث مقال ، وضعفه الشيخ الألباني .

(2) لسان العرب : 1/ 65

(3) القاموس المحيط : 1 / 869

(4) أنيس الفقهاء :84/1 .

(5) التوقيف على مهمات التعاريف : 1/ 166 .

(6) انظر : القاموس المحيط : 110/2 ، ولسان العرب : 6/ 361 .

(7) انظر ، تاج العروس : 1 / 3245 .

(8) انظر : الإتقان 2/ 174 .

(9) أنظر : المختار الصحاح ، 1/ 517 .

(10) انظر كتاب الأنساب : أبي سعيد عبد الكريم السمعاني (181/3) .

([11])انظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي : 147/3 .

(12) شذرات الذهب :العماد الحنبلي ،281/4 ، ووفيات الأعيان ، ابن خلكان : 398/4.

(13) انظر : معجم البلدان :231/5 .

(14) منهج الزمخشري :مصطفى الصاوي ، ص43

(15) انظر : شذرات الذهب ، 4/ 282 .

(16) خوارزم اسم لإقليم بكامله ، ولايطلق الإسم على المدينة المعروفة فحسب ، الذي تعتبر خوارزم قصبة هذا الإقليم وهي تقع على شاطئ نهر جيحون .

(17) وفيات الأعيان ، 4/ 402

(18) مرآة الجنان في معرفة ما يعتبر عن حوادث الزمان،لأبي محمد عبد الله اليافعي: 270/3 .

(19) النياط : نياط القلب ، هو العرق الذي يتعلق به القلب .

(20) الفرطات : هو الفرط من الشئ الذي ضيعه ولم يدركه الشخص.

(21) منهج الزمخشري : مصطفى الصاوي ، ص53

(22) انظر التفسير ورجاله : محمد الطاهر بن عاشور، ص53 .

(23) شذرات الذهب: 281/4.

(24) انظر معجم الأدباء :45/9 .

(25) بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، للسيوطي : 2/ 26 .

(26) شذرات الذهب : 4/ 113 .

(27) هدية العارفين في اسماء المؤلفين وآثار المصنفين :505/2 .

(28) انظر اللباب في معرفة الأنساب : 2/ 202 .

(29) خراسان : هي بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند تشتمل على كبار المدن و البلاد التي كانت تزخر بالعلماء ومن مدائن هذا الإقليم نيسابور . انظر معجم البلدان : 2/ 350 .

(30) بغية الوعاة : ص 351 .

(31) انظر وفيات الأعيان : 121/1 ، وانظر : شذرات الذهب ،147/5 .

(32) انظر ، كتاب الأنساب (181/3)

(33) التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي 1/ 446

(34) انظر مقدمة ابن خلدون 646 ، المصدر السابق ، التفسير والمفسرون 444/1:

(35) ا نظر الكشاف : 2/ 47ـ48 .

(36) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، تفضيل نبينا على الخلائق : 4/ 1782 .

(37) الكشاف :1/ 241 .

(38) المصدر السابق : 1/ 143 .

(39) المصدر السابق : 353/3 ـ 354 .

(40) الكشاف : 2/ 462 ـ463 .

(41) انظر التفسير والمفسرون : 430/1

(42)انظر البحر المحيط :10/1 .

(43) شبكة الأنترنت : انقر (الزمخشري) ، تجد مجموعة من المقالات منها موضوع عن اعتزال الزمخشري .

(44) التفسير والمفسرون : 433/1 .

(45) كشف الظنون :2/ 173 .

(46) التفسير والمفسرون :435/1 .

(47) المصدر السابق: 28/1 .

(48) مقدمة ابن خلدون :ص 489 .

(49) التفسير والمفسرون :33/1 .

(50) الإتقان في علوم القرآن : 2/ 113 .

(51) انظر الموافقات ، للشاطبي : 2/87 ـ 88 ، والتامك : السنام ، والقرد : الذي تجمع شعره وتكاثف، فكان كأنه وقاية للسنام . والنبع شجر تعمل من فروعه القسي والسهام ، والسفن : كل ما ينحت به غيره .

(52) الإتقان : 2/113 .

(53) المصدر السابق : 2/

(54) منهج الفرقان : 1/36 .

(55)المصدر السابق 1/36

(56) التفسير والمفسرون: 1/ 59 .

(57) انظر الإتقان :2/175 . انظر أيضا: مباحث في علوم القرآن : ص320 .

(58) الإتقان في علوم القرآن :2/ 467 .

(59) انظر الإتقان : 2/ 524 .

(60) انظر : مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 321 .

(61) انظر : الإتقان في علوم القرآن ، 2/ 510 . وانظر : مقدمة ابن الصلاح ، ص176.

(62) انظر : الكشاف : المجلد الثاني ، تسير الآية .

(63) انظر : الإتقان في علوم القرآن ، 2/ 513.

(64) المصدر السابق : 2/ 513 ، بتصرف .

(65) انظر : المحرر الوجيز ، 6/ 78 ، وانظر : دراسات في أصول التفسير ومناهجه ، د/ عمر يوسف حمزة ، ص 25.

(66) انظر : الإتقان ، 2/ 513 .

(67) انظر : مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 323 .

(68) تحاكت فيه الركب : تسابقت فاصطك بعضها ببعض .

(69) فصهم : المختار منهم ، كفص الخاتم الذي يتبارى في اختياره .

(70) عناة : أسرى : جمع عان وهو الأسير .

(71) القوارح : الكوامل الثوابت ، جمع قارح .

(72) سلكها : خيطها ، وذلك يوحي بدقة الجواهر المنظومة .

(73) بز: سبق وغلب .

(74) إبن القرية ، بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة أحد الحفاظ العرب وفصحائهم ، واسمه أيوب ، والقرية اسم أمه ، و الحسن البصري : هو ابو سعيد من أكابر التابعين ، ومن أشهر الوعاظ و العلماء ، وهو رائد مدرسة البصرة في العلوم الدينية ، كان راسا في التقوى والورع و العبادة.

(75) سيبويه : هو عمرو بن عثمان رائد المدرسة البصرية وزعيمها في النحو ، وصاحب (الكتاب) الذي يعد المرجع الأساسي في مادته ، أخذ من الخليل بن أحمد وفاقه في النحو حيث بلغ الغاية فبه ، عاش بين سنتي 148 ــ 180) من الهجرة .

(76) علك الغات : ضبطها واتقنها .

(77) رجع زمانا ورجع إليه، ورد و رد عليه:كرر معاودة التعلم و المراجعة مرة بعد مرة.

(78) لا كزا جاسيا و لا غليظا جافيا : لا متحجرا تابسا صلبا ، ولا غليظا خشنا بعيدا عن اللين والرفق.

(79) مرتاضا غير ريض : قد تمت رياضته ، وليس باديا فيها .

(80) بتلقيح بنات الفكر : بتنميتها وترتيبها ، وحسن الإنتفاع بها .

(81)انظر تفسير الزمخشري: الكشاف ، 1/ 8(الناشر مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ).

(82) انظر التفسير و المفسرون : 433/1 .

(83) ابن القرية : بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة ، أحد فصحاء العرب وحفاظهم ، واسمه أيوب ، والقرية اسم أمه ، والقرية في الأصل حويصلة الطائر ، نقل الكتب القديمة الى العربية . انظر : الكشاف ، طبعة دار الفكر ، معه حاشية السيد الشريف الحسيني الجرجاني ، وكتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال ، 16/1 .

(84) الحسن البصري ، يكنى أبا سعيد ، من أكابر التابعين ، لقي عليا عليه السلام في المدينة ، كان مشهورا بالحكم والمواعظ ، وإذا أطلق الحسن في كتاب فهو المراد . المصدر السابق .

(85) سيبويه : هو عمرو بن عثمان ، رائد المدرسة البصرية وزعيمها في النحو ، أخذ عن الخليل بن أحمد ، وفاقه ، صاحب الكتاب الذي يعد المرجع الأساسي في بابه (النحو)،(عاش بين سنتي 148 ـ 180 من الهجرة (86) . انظر : الكشاف ، الناشر مكتبة مصر ، شرح وضبط ومراجعة ، يوسف الحمادي . هامش ص8 الجزء الأول.

(87) انظر : الكشاف ، 1/ 16 ، طبعة دار الفكر بدون تاريخ .

(88) المصدر السابق : 1/ 17 .

(89) المصدر السابق : 1/ 17

(90) وهي معترك المنايا ، من السنوات ما بين الستين والسبعين .

(91) مدة خلافة سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، سنتان وأربعة أشهر ، أو ثلاثة أشهر وتسع ليال . وفي كشف الظنون ، لحاجي خليفة 2/ 172 ، أنه فرغ من تأليفه ضحوة الاثنين الثاني من ربيع الآخر في عام ثمان وعشرين وخمسمائة ، وكذا في خاتمة الكشاف .

(92) انظر : الكشف المقدمة ، 1/ 15 ـ 19 .

(93) انظر : مقدمة الكشاف ، مطبعة دار الفكر ، 17/1 .

(94) المصدر السابق ، ذات الصفحة .

(95) المصدر السابق : 1/ 17 .